(السابقون بالخيرات)

الحمد لله الولي الحميد ، الذي لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، وخلق كل شئ فقدره تقديرا ، لاإله غيره ولامعبود سواه ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره.... ، ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له القائل : (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله الذى قال : (**ما مِنْ أحَدٍ يَمُوتُ إلا نَدِمَ) قالُوا:وفِيمَ نَدَامَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قالَ : (إنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أنْ لا يَكُونَ ازْدَادَ ، وَإنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أنْ لا يَكُونَ نَزَعَ)** يعني تاب ورجع ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بالإحسان وفعل الخيرات .

وبعد فيقول الله تعالى : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ) .

عباد الله المؤمنين : لقد ذكر الله تعالى في سورة الواقعة أصنافَ الناس في سَيْرهم إلى الله تعالى ، ودلت الآيات على أنهم يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا ، فلما تكلم عن السابقين قال : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ) ولما تكلم عن أصحاب اليمين ذكر أنهم : (ثُلَّةٌ مِنْ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنْ الآخِرِينَ) ولقد بين الله مقام العاملين للدنيا ، ومقام العاملين للآخرة فقال : (من كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً * كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً) **هذا الفضل الكبير**لايتحقق لك إلا باغتنام الوقت الكامل فى عبادة الله ، لأنك خلقت لذلك قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) ، **فأنت موجود للعبادة :** إن حققت ذلك فأنت من الطائعين وكنت من الفائزين فى الدنيا والآخرة ، وإن حدثتك نفسُك بأمر فقد أجاب عنه ربنا بوضوح فقال : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاتُرْجَعُونَ) فمهماعشت فى الدنيا...فعودتك لخالقك أمرأكيد قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ) ميدان هذا الكدح أوهذا العمل هوعمرك ، ولأهمية هذا العمر أقسم الله بأجزاء منه : فاقسم بالفجر ، وأقسم بالضحى ، وأقسم بالعصر ، وأقسم بالليل ، وأقسم بالنهار ، ليخبر خلقه بأهمية هذا العمر.....وما كان أحد أحرص على العمر من صحابة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كانوا يعملون ولكنهم كانوا خائفين... (كانوا قليلا من الليل مايهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) .

ومع ذلك فكان **يقول أحدهم :** إنى لآمن مكر الله.....**ويقول الآخر :** ليت أمى لم تلدنى **ويقول الآخر :** ليتنى ديكا يذبح..... لِمَ كل هذا ؟ خوفا من رب العالمين ، فليس في الإسلام وقت ضائع ، ونبضات قلبك أيها المؤمن محسوبة عليك ، وإنك لا تدري متى ستنتهي النبضات لترحل ، وعند الرحيل سيندم البعض وأنى له الندم ؟ يقول الله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ...) ويأتيه الجواب : (كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ) حتى قوله تعالي : (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ).

بعض الصالحين مر بجماعة فرآهم يلعبون ، فقال : ما لكم تلعبون؟ قالوا : وقت فراغ فقال : أوبهذا اللعب تملؤون الفراغ ؟ إقرؤوا قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : (فإذا فرغت فأنصب * وإلى ربك فأرغب) نعم كثير من الأعمال فى حاجة إلى الراحة والترويح ولكن بشرط أن لاتطغى مشاغل الحياة الدنيا على المشغل الرئيسي وهو العبادة ، كم يعمل الإنسان من ساعة في اليوم ثمان ساعات...وباقى الساعات كم ساعة خصصتها لله ؟ هذا هو الحساب ففى الحديث : **(الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ)** فالمؤمن العاقل هو الذى يتذكر الآباء والأجداد أين هم الآن ؟ لقد كانوا مثلنا كانت لهم آمال فذهبت آمالهم مع الموت على الإنسان أن يسأل نفسه يانفسي : هل لكِ من الزاد ما يكفي هذا العمر الطويل فى الدنيا... وفى البرزخ... ؟ هل أنت مستعدة للإنتقال من هذه الدار إلى الدار الآخرة ؟ **ولم لا** فقد حذرنا العلي القدير من أمور قد تشغلنا عن هذا المصير فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِّ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) لقد قدم لك والداك فى زمن ضعفك الكثير...فماذا فعلت لهما فى زمن الرحيل ؟ لقد جعل لنا ربنا فى الكون آيات تذكرنا بالرحيل فقال : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أو أَرَادَ شُكُورًا) خلق الله لنا ليلاً ونهاراً وشروقاً وغروبا ، وليلاً يخلف نهارا ، ونهاراً يخلف ليلا ، لكي نعلم أن : (كل من عليها فان) وأن دوام الحال من المحال ، وأن كل نفس ذائقة الموت... وكل شيء هالك إلا وجهه ، نحن نشهد كل يوم رحيل العشرات فى ميادين الحرب والأمراض والمواصلات : (كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) ، فماذا أعددت ليوم المساق ؟ وماذا قدمت للحظة الفراق ؟

وأنت ترى الأيام تجري والأعوام تسري وكلها من عمرك ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصحك ويوصيك : **(اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قبل شغلك، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)** ، فأنت الآن في زمن الشباب قد تستطيع وفى ضعفك لن تستطيع ، وأنت الآن معافى قد تستطيع وفي مرضك لن تستطيع ومن فضل الله عليك أن الله يكتب لك في زمن العجز والمرض ما كنت تقوم به فى زمن الإستطاعة ، فقد خرج البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أو سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا)** فيأ ايها الإنسان : إعلم بأنك ستقف أمام مولاك ليسألك ، فهل أحضرت لكل سؤال إجابة ؟ يقول صلى الله عليه وسلم : **(لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل فيه) الألباني** .

فافتح صحيفتك أخى المسلم وانظر فيها ، كم فيها من ذكر لله ؟ كم فيها من صلاة ؟ كم فيها من صيام ؟ وكم فيها من زكاة ؟ فهل من متذكر؟ وهل من معتبر؟ وصدق من قال :

إذا ما خَلَوْتَ الدَّهْرَيوماً فلاتَقُلْ * خَلَوْتُ ولكنْ قُلْ عليَّ رَقِيبُ**

ولا تَحْسَبَنَّ الله يَغْفُلُ ساعة * ولا أنَّ ما يَخْفَى عليك يَغِيبُ**

فيا أيها المسلمون : إن الله تعالى قد أمرنا بفعل الخير ، وجعله من أسباب النجاح والفلاح يوم القيامة قال تعالى : (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) .

وقد جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ترغب في الخير وتبشر فاعله بالجزاء العظيم في الدنيا والآخرة ، وجعل الله تعالى فعل الخير ذخرا لصاحبه ، يجده عند ربه وفى يوم لقائه ، قال سبحانه : (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) وقال عز وجل : (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا...) ، وبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعي في قضاء حوائج الناس بخير عظيم في الدنيا والآخرة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**) ، ولقد عاش الصحابة رضوان الله عليهم مع قصص القرآن الكريم قولا وفعلا فتأسوا بالرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم فقد كان صلى الله عليه وسلم يتعهد أصحابه دائما بالموعظة فسألهم يوما بعد صلاة الفجر فقال:

من أصبحَ اليوم صائمًا؟!) قال أبو بكر : أنا يارسول الله ، فقال : **فمن عاد اليوم مريضًا؟!)** قال أبو بكر : أنا يارسول الله.....، فقال : **(فَمَنْ أطعم اليومَ مِسْكِينًا؟!)** قال أبو بكر : أنا يارسول الله ..... فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : **(أبشر بالجنة ، أبشر بالجنة)** تأملوا معشر المسلمين : لم يكن أبوبكر مستعدًا لذلك السؤال ، ولكنه كان معتادًا أن يبادر دائما بالاستكثار من الباقيات الصالحات ، إن هؤلاءِ العظماءَ قد عرفوا قيمة الحياةِ ، وعرفوا أنها مزرعةٌ للآخرة ، فاغتنموا أيام الدنيا ، فأكثروا فيها من الباقيات الصالحات ليقال لهم في الآخرة : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) واعلموا أنَّ الله تعالى لايُضَيِّعُ عمل الصالحات ولو كان قليلا : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)